



مجلة الدراسات الإيرانية
Journal for Iranian Studies

مجلة الدراسات الإيرانية

دراسات وأبحاث علمية متخصصة

مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر باللغتين العربية والإنجليزية

السنة العاشرة - العدد 23 - أبريل 2026م

تصدر عن



RASANA
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

النزعة الفارسية في السياسة الإيرانية بين الانتكاسات والاستمرار

د. عبد الله قران

محاضر بقسم العلوم السياسية والإدارة العامة، جامعة ألب أرسلان، موس، تركيا

مستخلص

تركز سياسة إيران لإحياء النزعة الفارسية على إبراز هويتها الفارسية التقليدية، وتسعى إلى إعادة ترسيخ مكانة إيران كقوة إقليمية ودولية في آن واحد، إذ تستند إلى توسيع نطاق النفوذ الإيراني خارج حدوده الجغرافية عبر استحضار الإرث التاريخي للإمبراطورية الفارسية؛ ومن خلال مزيج من الأدوات الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية تعمل إيران على ترسيخ قوتها الإقليمية وتعزيز حضورها كفاعل في السياسة الدولية.

وتقوم سياسة إحياء النزعة الفارسية على الموازنة بين المذهب الشيعي، بوصفه الأساس الأيديولوجي للجمهورية الإيرانية، وبين الاستمرارية التاريخية للهوية الفارسية؛ فبينما يُستغل المذهب كأداة مركزية في هذا المشروع، توّظف إيران أيضًا القضية الفلسطينية والخطاب المناهض للإمبريالية لتوسيع جاذبيتها لدى الدول السنية، بما يمكنها من حشد التأييد بين طيف واسع من الحركات الإسلامية. وتتناول هذه الورقة سياسة إحياء النزعة الفارسية الجديدة باعتبارها استراتيجية هجينة تجمع بين الهوية واستعراض القوة، وتقيم انعكاساتها على الجغرافيا السياسية الإقليمية والدولية.

الكلمات المفتاحية: النزعة الفارسية الجديدة، الهلال الشيعي، الحروب بالوكالة، جيوسياسة الشرق الأوسط، الأمن الإقليمي.

مقدمة

يعود أثر سياسة إيران في إحياء إرث الإمبراطورية الفارسية وتوسيع نطاق هيمنتها الإقليمية إلى العصر الصفوي، إذ أدت هذه السياسة إلى اندلاع ما لا يقل عن أحد عشر حرباً، كبرى وصغرى، بين الدولة العثمانية وإيران خلال الفترة الممتدة من 1514 إلى 1823م، ثم حُولت استراتيجية تمجيد الإرث الإمبراطوري الفارسي إلى سياسة دولة خلال عهد أسرة بهلوي في القرن العشرين، وفي ذروة النزعة القومية الفارسية احتفلت الملكية بالذكرى 2500 عام على قيام السلالة الفارسية في احتفالات ضخمة بمدينة برسيبوليس عام 1971.

ورغم قيام الثورة عام 1979، فإن الطموح في إحياء إرث السلالة الفارسية لم يختفي تماماً، إذ سعى النظام الديني الحاكم إلى التمدد نحو مناطق كانت خاضعة لسيطرة الإمبراطورية الفارسية، حتى وإن كان ذلك عبر سياسات تقوم على تصدير الثورة والترويج لمفهوم الهلال الشيعي.

وتمنح المادتان 150 و151 من الدستور الإيراني، الذي أُقرّ باستفتاء شعبي عام 1979، الحرس الثوري الإيراني تفويضاً أيديولوجياً صريحاً يتمثل في: "الجهاد في سبيل الله؛ أي توسيع سيادة قانون الله في العالم"، وبذلك؛ لا يُكَلَّف الحرس الثوري بحماية الحدود الإقليمية لإيران فحسب، بل أيضاً بتنفيذ مهمة أيديولوجية خارجها، بما ينسجم مع الأهداف الكبرى للجمهورية الإيرانية. كما يُفسر علماء الشيعة الآية القرآنية الواردة في المادة 151 من سورة الأنفال "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَظَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مَنْ دُونَهُمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ" باعتبارها تكليفاً دينياً للقوات المسلحة بخوض الجهاد في سبيل الله⁽¹⁾.

ولا تقتصر أنشطة إيران التنظيمية والأيديولوجية على الدول ذات الأغلبية الشيعية؛ بل تنشط أيضاً في دول ذات أغلبية سنية، وقد عبّر الخميني مؤسس الجمهورية الإسلامية، عن التزام قادة إيران بتصدير الثورة بقوله: "يجب أن نسعى إلى تصدير ثورتنا إلى العالم، ويجب أن نتخلى عن فكرة أننا لا نصدر ثورتنا؛ لأن الإسلام لا يفرق بين البلدان الإسلامية المختلفة، وهو نصير جميع المستضعفين في العالم، ومن جهة أخرى، فقد نهضت كل القوى العظمى والقوى الكبرى للقضاء علينا، وإذا بقينا محصورين في بيئة مغلقة فسنهزم حتماً"⁽²⁾.

وبعد أن استخدمت سياسات طائفية ووظفت المذهب الشيعي كأداة استراتيجية، لم تواجه إيران عقبات كبيرة في مسعاها إلى بسط نفوذها السياسي على عديد من الدول المجاورة. ورغم التحديات، واصل قادة إيران مساعيهم التوسعية نحو مناطق كانت جيوش كوروش وأحشويرش قد أخضعها قبل 2500 عام.

تجادل هذه الدراسة بأنه لا يمكن فصل مشروع إيران الأيديولوجي في المنطقة عن سياساتها الفارسية الجديدة الأوسع، وتفترض الدراسة بأن انسحاب الولايات المتحدة من العراق عام 2011 وما تلاه من تطورات بعد الربيع العربي أتاح فرصاً كبيرة لإيران لتعزيز أجندتها الفارسية الجديدة. إذ أصبحت عواصم مثل بغداد ودمشق ضمن دائرة نفوذها، رغم فشل إيران في تحقيق مكاسب إقليمية خلال الحرب الإيرانية-العراقية التي استمرت ثماني سنوات، ومع ذلك فإن سقوط نظام الأسد بسوريا في 8 ديسمبر 2024، واندلاع حرب الاثني عشر يوماً بين إسرائيل وإيران في 13 يونيو 2025، وجّه ضربة كبيرة للاستراتيجية الفارسية الجديدة، لكن أيضاً يبدو أن إيران مصممة على مواصلة هذا المسار رغم الانتكاسات الكبيرة.

أولاً: جذور الهوية الإيرانية ودمج النزعتين الفارسية والشيعية بعد الثورة

بحلول القرن السادس قبل الميلاد، كان الأخمينيون قد أسسوا أكبر إمبراطورية في العالم القديم، ممتدة من نهر السند إلى البحر المتوسط، وبلورت فارس تحت حكم كورش وقمببز رؤية إمبراطورية تركز على الوصول البحري والتوسع العسكري ودمج الشعوب المتنوعة ضمن منظومة حكم واحدة،⁽³⁾ وقد شكّل فتح كورش لبابل عام 539 قبل الميلاد رمزاً لهذه السيادة العامة على الشعوب، وهو الحدث الذي خلده زينوفون في كتابه "التربوية - Cyropaedia"⁽⁴⁾.

أما داريوس الأول (522-486 قبل الميلاد) فقد حوّل هذه الرؤية إلى مبدأ للسيادة العامة، مستنداً إلى شرعية إلهية من أهورامزدا، وتُظهر النقوش داريوس بوصفه "ملك الملوك" الذي يحكم من سغديانا إلى إثيوبيا، ضمن سيادة تُصوّر على أنها مفوضة إلهياً⁽⁵⁾. وقد أسس هذا التصور الإمبراطوري ما يُعرف بـ "السلام الفارسي"، وهو نظام إداري دمج النخب المحلية في بنية الحكم الفارسي، مما أتاح استقراراً واسعاً عبر أراضٍ شاسعة⁽⁶⁾. ورغم أن الإمبراطورية الفارسية سقطت لاحقاً على يد الإسكندر الأكبر، إلا أن إرثها ظلّ حياً عبر العهدين البارثي (247 ق.م - 224 م) والساساني (224-651 م)، إذ أعاد هذان الكيانان إحياء مفاهيم الأخمينيين المتعلقة بالقوة وبالمنافسة مع روما،⁽⁷⁾ وبقيت الهوية الفارسية حتى في ظل فترات الاحتلال، لتشكل الإطار الذي استندت إليه السلالات اللاحقة.

وقد رسّخ الصفويون (1501-1736) المذهب الشيعي بوصفه الدين الرسمي للدولة، مما أسس لهوية طائفية راسخة في إيران،⁽⁸⁾ وقد أدت طموحاتهم التوسعية غرباً إلى صدام بعيد الأمد مع العثمانيين، بدأ بمعركة جالديران عام 1514 وانتهى بمعاهدة زهاب عام 1639، التي رسمت الحدود التي ما تزال قائمة إلى حد كبير حتى اليوم⁽⁹⁾، وتمحورت

المنافسة بين الطرفين حول مناطق القوقاز وكردستان وبعداد والبصرة، وقد دفعت الحروب المتواصلة الصفويين إلى نقل عواصمهم من تبريز إلى قزوین ثم إلى أصفهان⁽¹⁰⁾. وفي هذه الصراعات، تحالف العثمانيون مع الإمارات الكردية، بينما لجأ الصفويون إلى ترحيل الأكراد والأرمن والجورجيين لتأمين مناطق الحدود، وكان أبرز هذه الإجراءات نقل 40 ألفاً من أكراد تشمش قازاقلوا إلى خراسان في عهد الشاه عباس⁽¹¹⁾.

وهكذا؛ من الأحمينيين إلى الصفويين، تبلورت في الفكر السياسي الفارسي عناصر ثابتة: النزعة الإمبراطورية ذات الطابع العالمي، والشريعة الدينية، والتنافس المتكرر مع الإمبراطوريات المجاورة، وهي عناصر شكّلت الجذور التاريخية العميقة لسياسة إيران الفارسية المعاصرة.

منذ بداية العهد البهلوي في إيران، دأبت النخبة الفكرية على استحضر عظمة ماضي ما قبل الإسلام. ففي القرن التاسع عشر، وعلى ضوء ضعف الدولة القاجارية، كانت الدولة البهلوية قد بدأت بالفعل في صياغة سردية أسطورية رسمية تمجّد الحقبة الإيرانية السابقة للإسلام، وقد شكّلت هذه السردية في جوهرها شكلاً قوياً من النزعة القومية التي تبرز مجد إيران في القرن الخامس قبل الميلاد.

وبلغت هذه الموجة القومية ذروتها عام 1971، بعد الاحتفال بالذكرى 2500 عام على قيام الملكية الفارسية في برسيبوليس. إذ همشت الأيديولوجيا الإسلامية مع اعتلاء رضا شاه العرش عام 1925 لصالح إحياء إرث السلالات الفارسية القديمة⁽¹²⁾. وفي إطار رؤيته لاستعادة مجد فارس القديم، أصدر الشاه قراراً بالتخلي عن التقويم الهجري الإسلامي، وعمل على تعزيز الهوية الآرية لإيران، وكان يعتقد أن تبني إيران لتراثها الآري سيجعلها أكثر انسجاماً مع الغرب كحليف استراتيجي⁽¹³⁾.

ومن منظور قومي، كان التركيز على الحضارة الآرية وفرض اللغة الفارسية كلغة تعليم إلزامية على مختلف الشعوب والمجتمعات داخل إيران يخدم هدفاً أساسياً واحداً: توسيع النفوذ الإيراني واكتساب أراضٍ جديدة. ففي عام 1929، وبعد خلع الملك أمان الله في أفغانستان وسط صعود تيارات إسلامية متشددة، سعت إيران فوراً إلى استغلال حالة الضعف في أفغانستان، وحرك عبد الحسين تيمورتاش، وزير البلاط وأبرز مهندسي السياسات القومية والعلمانية، الجيش نحو الحدود الأفغانية في محاولة لضّم ولاية هرات، ولم تتراجع إيران إلا بعد تدخل الاتحاد السوفيتي وتركيا، وفي الفترة نفسها، طالبت إيران أيضاً بالبحرين وعدد من المناطق في الخليج، مستندة إلى ادعاء أن سكانها من أصول فارسية رغم هويتهم العربية⁽¹⁴⁾.

وخلال السبعينيات، كانت الدول الخليجية، مثل عُمان والإمارات وقطر والبحرين والمملكة العربية السعودية والكويت، إلى جانب العراق وإيران هي المورد الرئيس للنفط

إلى معظم الدول الصناعية الغربية غير الشيوعية، وكانت ناقلات النفط العملاقة تعبر مضيق هرمز ثم خليج عُمان وصولاً إلى المحيط الهندي.

وبحلول عام 1978، أصبحت إيران ثاني أكبر منتج للنفط بين أعضاء أوبك، وقد رفعت عائدات النفط في الستينيات والسبعينيات مكانة إيران إلى مستوى قوة من الدرجة الثانية في السياسة الدولية؛ ما مكَّنها من لعب دور شرطي الخليج. وبدافع من الطموحات القومية والتوسعية، أقدم الشاه في 30 نوفمبر 1971 على احتلال ثلاث جزر صغيرة لكنها شديدة الأهمية الاستراتيجية عند مدخل الخليج: أبوموسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى، وكان هدفه الأوسع هو بسط النفوذ على جميع الدول المطلة على الخليج من عُمان إلى الكويت. وفي كل مرة تطرح فيها الإمارات مطالبها بشأن الجزر، تواجه برداً إيراني حاد، ولا تزال طهران ترفض إحالة النزاع إلى محكمة العدل الدولية⁽¹⁵⁾. وكانت أكبر عملية عسكرية إيرانية في ذلك العام تدخلها في ظفار بسلطنة عُمان، حيث أرسلت قوات لدعم السلطان في قمع تمرد مسلح⁽¹⁶⁾.

ومع انسحاب بريطانيا من المنطقة، تحركت إيران - بدعم من القوى الغربية - لملء الفراغ في الخليج، ومع تزايد ثراء دول الخليج ارتفعت نفقاتها العسكرية للتصدي للنزعة التوسعية الإيرانية. وبحلول عام 1974 بلغت مبيعات الأسلحة الأمريكية لدول الخليج 4,4 مليارات دولار، وكانت إيران والمملكة العربية السعودية أكبر المشتريين⁽¹⁷⁾، غير أن ثورة 1979 أنهت دور إيران كشرطي للخليج⁽¹⁸⁾.

دخلت إيران والمنطقة عهداً جديداً باندلاع الثورة الإيرانية في عام 1979، إذ عدت إحدى أبرز الأحداث في القرن العشرين⁽¹⁹⁾، كما أحدثت تحولاً جذرياً في السياسة الخارجية لإيران، منتقلةً بها من توجهٍ موالٍ للغرب إلى موقفٍ ثوريٍ مناهضٍ للغرب تقوده المؤسسة الدينية⁽²⁰⁾.

وفي مارس 1979 أُجري استفتاء شعبي أفضى إلى إعلان "الجمهورية الإسلامية" بنسبة تأييد بلغت 98,2%، تلاه إعداد دستور جديد منح الخميني سلطةً دينيةً وسياسيةً مطلقة⁽²¹⁾. كما نصَّ الدستور على "تصدير الثورة"، مما دفع إيران إلى دعم الحركات الإسلامية في البيئات الشيوعية والسنية على حدٍّ سواء⁽²²⁾. إذ شدد الخميني على أن الثورة يجب أن تمتد إلى خارج الحدود قائلاً "يجب أن نسعى إلى تصدير ثورتنا إلى العالم.. الإسلام لا يفرق بين البلدان الإسلامية المختلفة"⁽²³⁾، وبعد حادثة مكة عام 1987، صرَّح قائلاً "سنُصدِّر تجارنا إلى العالم.. وتطبيق التعاليم الإسلامية بين الأمم المستعبدة"⁽²⁴⁾. وقد أسهم هذا التصور التوسعي قبل ذلك في اندلاع الحرب الإيرانية-العراقية، كما كان له دورٌ في بروز الأصولية الإسلامية، وهو مصطلح كان مرتبطاً سابقاً بالبروتستانتية الأمريكية قبل أن يُعاد ربطه بالحركات الإسلامية الثورية والعنيفة⁽²⁵⁾. كذلك لجأت

إيران إلى توظيف العنف خارج الحدود؛ فيحلول منتصف التسعينيات، كان نحو 350 معارضاً قد أُغتيلوا في الخارج، في حين شكّلت فتوى الخميني ضد سلمان رشدي مثلاً بارزاً على امتداد النفوذ الإيراني عبر الحدود⁽²⁶⁾. وباختصار، أحدثت الثورة الإيرانية تحولاً عميقاً في مسار الحركات الإسلامية على المستويين الإقليمي والدولي.

ثانياً: التحركات الإقليمية في إطار النزعة الفارسية الجديدة

غذّى شعور إيران بالعزلة الاستراتيجية - فهي محاطة بالعرب والأتراك والأكراد - مزيجاً من القلق والطموح، ويعود هذا النمط إلى العصر الصفوي (1501-1722)، حين رسّخ الحكام الفرس المذهب الشيعي وصاغوا هوية سياسية وثقافية مستقلة عن الإمبراطوريتين العثمانية والمغولية. ومنذ ذلك الحين، استندت الهوية الإيرانية إلى ركيزتين لا تنفصلان: اللغة الفارسية والمذهب الشيعي⁽²⁷⁾. وقد عززت القومية الفارسية، الممتدة جذورها إلى عام 2500، هذا التركيب المزوج للهوية⁽²⁸⁾.

في 8 ديسمبر 2004، كان الملك عبدالله الثاني أول زعيم يسلم الضوء علناً على واقع "الهلال الشيعي" في الشرق الأوسط، وذلك في مقابلة مع صحيفة واشنطن بوست. إذ حذر قائلاً "إذا هيمنت الأحزاب أو الشخصيات الموالية لإيران على الحكومة العراقية الجديدة، فقد يظهر هلال جديد من الحركات أو الحكومات الشيعية يمتد من إيران إلى العراق وسوريا ولبنان؛ مما سيغيّر ميزان القوى التقليدي بين المذهبين الرئيسيين في الإسلام، ويفرض تحديات جديدة أمام مصالح الولايات المتحدة وحلفائها"⁽²⁹⁾.

وقد أثبتت الأحداث صحة هذا الاستشراف، إذ أسفرت أول انتخابات عراقية بعد سقوط نظام صدام حسين في 30 يناير 2005 عن فوز الائتلاف العراقي الموحد بنسبة 48% من الأصوات، مع مشاركة مرتفعة للغاية حتى في مدينة تكريت ذات الأغلبية السنية، حيث بلغت نسبة المشاركة 83%⁽³⁰⁾. وقد ضمّ الائتلاف الشيعي أحزاباً رئيسة مثل حزب الدعوة الإسلامية والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وتيار مقتدى الصدر، وتولى إبراهيم الجعفري، وهو من حزب الدعوة وله علاقات وثيقة مع إيران، منصب رئيس الوزراء، قبل أن يخلفه نوري المالكي عام 2006؛ ومنذ ذلك الوقت سيطرت الفصائل الشيعية على السلطة في العراق، وما تزال.

وكما هو معروف، سارعت إيران بعد ثورة 1979 إلى التواصل مع المجتمعات الشيعية خارج حدودها، وفي العالم العربي، نظرت إيران إلى هذه المجتمعات باعتبارها "طابوراً خامساً"، أي قاعدة دعم ونفوذ داخل الدول⁽³¹⁾. وقد عبّر الرئيس المصري السابق حسني مبارك في مقابلة مع قناة العربية عام 2006 عن هذا القلق بقوله "الشيعية في كل هذه الدول [في المنطقة] يشكلون نسبة مهمة، وولاء أغلب الشيعية في المنطقة هو لإيران

وليس لدولهم”⁽³²⁾. وكما أشار جيفري مانكوف، فقد اعتبرت إيران على الدوام المجتمعات الشيعية خارج حدودها أدوات للنفوذ السياسي⁽³³⁾.

ومنذ عام 1979، والمذهب الشيعي بالنسبة لإيران الأداة الدينية-السياسية التي اعتمدت عليها لتحقيق طموحاتها الإقليمية؛ فمن لبنان إلى باكستان، قاتلت معظم الجماعات الشيعية الراديكالية نيابةً عن إيران. ورغم أن بعض الجماعات الجهادية السننية مثل القاعدة وداعش كانت تعتبر المملكة العربية السعودية خصماً، إلا أن إيران أقامت علاقات براغماتية مع بعضها. كما نجحت طهران في بناء علاقات مع حماس وحركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية بفضل خطابها المناهض للولايات المتحدة وإسرائيل؛ مما منحها قدرة أكبر على المناورة في شرق المتوسط⁽³⁴⁾.

وقد بدأت علاقة إيران بحماس في أوائل التسعينيات، وتعمقت بعد اتفاقيات أوسلو التي أحدثت شرخاً بين إيران ومنظمة التحرير الفلسطينية. وفي عام 1994، حاصر طلاب إيرانيون مكتب منظمة التحرير في طهران احتجاجاً على تقاربها مع إسرائيل⁽³⁵⁾. وبعد سيطرة حماس على غزة عام 2007، قُدِّر الدعم الإيراني بنحو 250 مليون دولار سنوياً⁽³⁶⁾. وبعد هجمات 7 أكتوبر 2023، شاع الاعتقاد بأن إيران تموّل معظم عمليات حماس العسكرية، في حين يُقال إن قيادي تنظيم القاعدة سيف العدل أقام في إيران فترة امتدت لمعظم العقدين الماضيين⁽³⁷⁾.

وفقاً لتقديرات خدمة الأبحاث في الكونغرس الأمريكي، فإن الأهداف الإقليمية لإيران تقوم على ثلاثة محاور رئيسية: تقليص النفوذ الأمريكي وحماية المجتمعات الشيعية وتعزيز حضورها الإقليمي⁽³⁸⁾. ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمدت القيادة الإيرانية بعد الثورة على أدوات متعددة تشمل الدعاية الأيديولوجية والدبلوماسية الثقافية واستخدام الوكلاء العسكريين. ومع ذلك، لم تكن طموحات إيران محصورةً في الدول ذات الأغلبية الشيعية، فقد صرّح أحمد الخميني عام 1991 قائلاً “الإسلام لا يعترف بالحدود.. وهدف الجمهورية الإسلامية ليس سوى إقامة حكم إسلامي عالمي”⁽³⁹⁾. كما كرّر الرئيس هاشمي رفسنجاني هذا التصور خلال زيارته للسودان في العام نفسه، واصفاً الثورتين الإيرانية والسودانية بأنهما “مصدر حركة في العالم الإسلامي بأسره”⁽⁴⁰⁾.

ويتداخل النفوذ الإقليمي لإيران أيضاً مع البُعد الجيوسياسي للطاقة، فجزء كبير من احتياطات النفط والغاز في الشرق الأوسط، بما فيها الموجودة في المملكة العربية السعودية، يقع في مناطق ذات كثافة سكانية شيعية⁽⁴¹⁾. على صعيد متصل أدى الموقف الإيراني المناهض لإسرائيل إلى تقارب كبير بين طهران ودمشق، فقد رحّب الرئيس حافظ الأسد بالثورة الإيرانية باعتبارها انتصاراً للعرب والمسلمين ضد الصهيونية⁽⁴²⁾. وعلى النقيض، نظرت الدول العربية الموالية للغرب إلى الثورة بعين الريبة، خصوصاً بعد

أن ألغت إيران اتفاقياتها مع واشنطن وتل أبيب، وبدأ النظام الإيراني في تهديد الدول العربية⁽⁴³⁾

ورغم التباينات الأيديولوجية مع سوريا، تخلّت إيران عن خطابها الإسلامي الذي توجهه لعموم المسلمين في سبيل دعم نظام الأسد العلماني. وخلال مجزرة حماة عام 1982، اتخذت إيران موقفا صريحا في الانحياز الى جانب دمشق في مواجهة جماعة الإخوان المسلمين. وبعدها بفترة قصيرة، وقّع البلدان اتفاقاً اقتصادياً لمدة عشر سنوات، بينما أغلقت سوريا خط الأنابيب العراقي المتجه إلى البحر المتوسط؛ مما ألحق ضرراً اقتصادياً بالغاً ببغداد⁽⁴⁴⁾.

وفي العام نفسه، أدى الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان إلى تعزيز التحالف بين البلدين. إذ أرسلت إيران قوات من الحرس الثوري عبر الأراضي السورية وأسهمت في تأسيس حزب الله، الذي أصبح لاحقاً أحد أهم أدوات السياسة الفارسية الجديدة⁽⁴⁵⁾. وقد نفذ حزب الله، المدعوم تدريباً وتسليحاً من إيران، تفجيرات بيروت عام 1983 التي أسفرت عن مقتل أكثر من 300 جندي أمريكي وفرنسي⁽⁴⁶⁾، ولعب فيلق القدس دوراً محورياً في هذه العمليات، حتى وُصفت بأنها "أكثر التنظيمات الإرهابية انضباطاً وتنظيماً وعتفاً في العالم"⁽⁴⁷⁾.

ورغم أن سوريا كانت تخشى أحياناً من تضخم النفوذ الإيراني، خصوصاً بعد اتفاق الطائف 1989 واتفاقيات أوسلو 1993، إلا أن الشراكة بينهما استمرت. ربما يظهر هذا الخلاف في قضايا كالحلافات حول جزر الإمارات الثلاث وسياسة "الأرض مقابل السلام" الإسرائيلية تسببت في بعض التوترات بينهما، إلا أن التحالف بقي قائماً بفعل التقاء المصالح في مواجهة إسرائيل والولايات المتحدة⁽⁴⁸⁾.

ثالثاً: التحدي الأمريكي للمشروع الإيراني في الشرق الأوسط

كانت الولايات المتحدة أكبر عقبة أمام سياسة إيران الفارسية الجديدة في الشرق الأوسط، فبعد الثورة مباشرة، وبينما كانت إيران تخطط للتوسع نحو دول الخليج، وجدت نفسها أمام الحضور الأمريكي الذي تحالف مع دول الخليج. وقد كتب صمويل هنتنغتون عام 1999 أن إيران قوة إقليمية صاعدة تستعد لمواجهة "القوة العظمى الأمريكية" في الشرق الأوسط⁽⁴⁹⁾، وهو ما تحقق لاحقاً، فبعد حرب فيتنام عام 1975، أصبحت إيران الدولة التي كبّدت الولايات المتحدة أكبر الخسائر البشرية في المنطقة⁽⁵⁰⁾.

وقد دفع الغزو السوفيتي لأفغانستان عام 1979 الولايات المتحدة إلى اتخاذ إجراءات جديدة لحماية الخليج. إذ أعلن الرئيس جيمي كارتر في يناير 1980 ما عُرف بعقيدة كارتر، التي نصّت على استعداد الولايات المتحدة للتدخل العسكري في الخليج عند الضرورة. ورغم أن العقيدة وُجّهت رسمياً ضد التوسع السوفيتي، فإنها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي

أصبحت تُطبّق عملياً ضد إيران، إذ قال كارتر في خطابه التاريخي "ليكن موقفنا واضحاً تماماً: أي محاولة من قوة خارجية للسيطرة على منطقة الخليج العربي ستُعدّ اعتداءً على المصالح الحيوية للولايات المتحدة، وسيواجه هذا الاعتداء بكل الوسائل اللازمة، بما في ذلك القوة العسكرية"⁽⁵¹⁾.

وخلال رئاسة كارتر، أُنشئت قوة الانتشار السريع للتدخل في حالات عدم الاستقرار الإقليمي⁽⁵²⁾، غير أن إدارة رونالد ريغان تخلّت عن هذا المشروع لصالح إنشاء القيادة المركزية الأمريكية، وهي قوة دائمة تعمل في المحيط الهندي⁽⁵³⁾.

ومع توسع النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط، ازدادت حدة الخطاب الإيراني تجاه واشنطن، إذ اعتقد الخميني أن العراق شنّ حربه على إيران بتحريض أمريكي، واعتبر صدام حسين أداة بيد الولايات المتحدة ويقاوم بالنيابة عنها⁽⁵⁴⁾.

وفي الإطار الأوسع للمواجهة بين الولايات المتحدة وإيران، لعبت رؤية طهران للنظام الدولي دوراً محورياً، فإيران تنظر إلى النظام العالمي الذي تقوده واشنطن باعتباره نظاماً غير عادل في جوهره، وترى ضرورة استبداله بنظام أكثر إنصافاً وتوازناً. ومن منظور طهران، ينقسم هذا النظام إلى عالمين متقابلين: عالم الخير وعالم الشر والنور والظلام. وضمن هذا التصور الثنائي، تمثل إحدى الجبهات "إيران الإسلامية والأحزاب التابعة لها" بوصفه معسكر الحق، بينما تمثل الجبهة الأخرى "الشيطان الأكبر"، وترى إيران أن المصالحة بين هذين العالمين مستحيلة⁽⁵⁵⁾. وبينما تصف إيران الولايات المتحدة بـ "الشيطان الأكبر"، تشير إلى إسرائيل، التي تعتبرها امتداداً إقليمياً لواشنطن، بـ "الشيطان الأصغر"⁽⁵⁶⁾.

وترى إيران أن المواجهة مع الولايات المتحدة ضرورة وطنية، ففي عام 2001، صرّح محمود هاشمي شاهرودي، رئيس السلطة القضائية آنذاك، قائلاً "مصالحنا الوطنية تكمن في استعداد الشيطان الأكبر، نحن ندين أي موقف جبان تجاه أمريكا وأي حديث عن التسوية معها"⁽⁵⁷⁾.

ومع ذلك، اتبعت الولايات المتحدة سياسة متوازنة خلال الحرب العراقية-الإيرانية، هدفها منع كلٍّ من الاتحاد السوفيتي وإيران من بسط نفوذهما على منطقة الخليج. وفي هذا السياق، قادت وكالة الاستخبارات المركزية ومجلس الأمن القومي مبادرات أمريكية سرية بهدف تسهيل مبيعات أسلحة محدودة لإيران، ورغم أن هذه الأسلحة لم تكن كافية لتغيير مسار الحرب لصالح طهران، إلا أنها حملت رسالة واضحة لطهران بأنها ليست مضطرة للاعتماد الكامل على موسكو في التسليح⁽⁵⁸⁾.

وقبل الثورة، وصفَ الرئيس جيمي كارتر إيران بأنها "جزيرة استقرار"⁽⁵⁹⁾، لكن بعد 1979، تحولت إيران إلى "جزيرة عدم استقرار" من منظور واشنطن. وبالإضافة إلى وقف

إيران من السقوط تحت النفوذ السوفيتي، كانت واشنطن تسعى أيضاً إلى ضمان عدم تصدير إيران ثورتها إلى الدول المجاورة أو زعزعة استقرار الخليج وتعطيل تدفق النفط. وخلال إدارة رونالد ريغان، تبنت الولايات المتحدة سياسة الاحتواء المزدوج تجاه إيران، ضمن إطار ما عُرف بـ "الهَمّ الشمالي" و "الهَمّ الجنوبي". إذ سعت في بعدها الشمالي إلى إبقاء إيران بعيدة عن الاتحاد السوفيتي، بينما ركّز بعدها الجنوبي على منع طهران من تهديد الدول الحليفة في الخليج أو نشر أيديولوجيتها الثورية⁽⁶⁰⁾.

ومن المفارقات أن شعار ثورة إيران "لا شرقية ولا غربية" خدم عملياً أهداف الولايات المتحدة في مشاغلها الشمالية، إذ حدّ من إمكانية تقارب إيران مع موسكو. وفي هذا السياق قال وزير الخارجية الأمريكي ألكسندر هيغ: إن حياض واشنطن في الحرب الإيرانية - العراقية لا يعني اللامبالاة. بينما أكد وزير الدفاع كاسبر واينبرغر في مايو 1982 أن "انتصار إيران ليس بالتأكيد في مصلحتنا الوطنية"⁽⁶¹⁾.

وفي دراسة أعدّها مجلس الأمن القومي الأمريكي عام 1983، صيغت المقاربة الأمريكية للحرب في الفقرة القائلة بأن "الحفاظ على وحدة العراق الإقليمية والسياسية يصب في مصلحة الولايات المتحدة، فلو انهار العراق، فإن قيام نظام ثوري شيوعي في بغداد سيزيد احتمالات عدم الاستقرار في دول الخليج العربي، كما قد يؤدي إلى نشوء محور إيراني -سوري قد لا يهدد الخليج فحسب بل أيضاً الأردن وإسرائيل والمصالح الأمريكية في شرق المتوسط ومن شأن زعزعة الاستقرار تلك أن تؤدي إلى فرص لنفوذ سوفيتي أكبر في المنطقة. وتتركز المخاوف الأمريكية حالياً على احتمال انهيار العراق - بالرغم من الخطوات التي اتخذها داعموه للحفاظ على قدراته الاقتصادية والعسكرية - نتيجة حرب الاستنزاف، وهو ما سيضر بالمصالح الأمريكية. وللولايات المتحدة مصلحة في منع التوسع العسكري الثوري الإيراني في الخليج"⁽⁶²⁾.

وبالفعل كانت الولايات المتحدة قد بدأت دعم العراق سراً. ففي أبريل 1981، أرسل هيغ وفداً إلى بغداد لبدء المحادثات، ووصلت شحنات الأسلحة إلى العراق عبر دول وسيطة. إذ نُقلت معلومات استخباراتية عبر منظومات طائرات "أوكس" الاستطلاعية إلى العراق. ثم أصبح الدعم الأمريكي للعراق أكثر وضوحاً ومباشرة مع الوقت.

أزالت الولايات المتحدة، في فبراير 1982، العراق من قائمة الدول الراحية للإرهاب، مما فتح الباب أمام اتفاقيات زراعية تُزوّد بموجها بغداد بمنتجات أمريكية على الائتمان. وفي عام 1983، وافقت إدارة ريغان على بيع 60 مروحية للعراق، وبحلول 1984، استُعيدت العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين واشنطن وبغداد، وتبعته شراكات في مجالات الزراعة والصناعة والطاقة والاتصالات. وفي تلك الفترة، امتنعت الدول الأوروبية الغربية عن معارضة مبيعات الأسلحة للعراق، بينما شجعت إدارة ريغان دول الخليج على تعزيز علاقاتها الاقتصادية والمالية مع بغداد⁽⁶³⁾.

ومع تقارب الولايات المتحدة من العراق، تصاعدت الهجمات التي نفذتها إيران أو الجماعات التي تدعمها ضد المصالح الأمريكية، إذ أدى تفجير آخر في سبتمبر 1984 استهدف السفارة الأمريكية في بيروت إلى مقتل 24 شخصاً، بينهم أمريكيان. وفي الشهر التالي، اختطف طائرة تابعة للخطوط الجوية الكويتية كانت متجهة إلى باكستان، وأخذ الخاطفون جميع من على متنها رهائن قبل أن يُجبروا طاقمها على الهبوط في طهران. وأعدم اثنان من موظفي الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية كانوا على متن الطائرة. وبعد ستة أيام، اقتحمت قوات الأمن الإيرانية الطائرة واعتقلت الخاطفين الذين نُسبوا إلى حزب الله، لكنها أطلقت سراحهم دون محاكمة.

ورداً على تصاعد الهجمات على المصالح الأمريكية، قال الرئيس ريغان إن "الولايات المتحدة لا تقدم مكافآت ولا ضمانات للإرهابيين، نحن لا نقدم تنازلات ولا نعقد صفقات. الدول التي تؤوي الإرهابيين تقوّض استقرارها وتعرض شعوبها للخطر. أيها الإرهابيون، كونوا على علم أننا سنرد عليكم في لبنان وغيرها، سنواجه هجماتكم الجبانة على المواطنين والممتلكات الأمريكية"⁽⁶⁴⁾.

وبعد الهجمات التي نفذها تنظيم القاعدة ضد الولايات المتحدة في سبتمبر 2001 تحول اهتمام واشنطن مؤقتاً بعيداً عن إيران، وافترضت الأخيرة آنذاك أن الولايات المتحدة ستتنظر من تلك اللحظة فصاعداً إلى التطرف السني، وليس الثيوقراطية الشيعية، باعتبارها التهديد الأكبر. وشهدت العلاقات بين إيران والولايات المتحدة في أعقاب هجمات 11 سبتمبر تقارباً محدوداً وقصيراً الأمد. إذ التقى الدبلوماسي الأمريكي رايان كروكر في جنيف بمبعوث عن الجنرال قاسم سليماني، قائد قوة القدس التابعة للحرس الثوري، وبعد الاجتماع، زوّدت إيران كروكر بخرائط تفصيلية لمواقع طالبان، وفتحت مجالها الجوي دعماً للحملة العسكرية الأمريكية ضد الحركة⁽⁶⁵⁾.

ومن أواخر الثمانينيات وحتى أوائل العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، تذبذبت العلاقات بين إيران والولايات المتحدة بين المواجهة والتواصل المحدود. إذ أدى انتهاء الحرب العراقية-الإيرانية عام 1988 إلى جانب سعي طهران لامتلاك التكنولوجيا النووية، إلى زيادة التوتر بين إيران وواشنطن وحلفائها. وخلال التسعينيات، شددت الإدارات الأمريكية العقوبات على إيران، ثم أثار تقدم إيران باتجاه السلاح النووي في العقد الأول من الألفية الجديدة قلقاً دولياً واسعاً. وفي عام 2015، فتح توقيع خطة العمل الشاملة المشتركة نافذة صغيرة للدبلوماسية، ولكن انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق عام 2018 أعاد أجواء الشك والعداء. وقد مهّدت هذه التطورات الطريق للتصعيد الذي بلغ ذروته في المواجهة المباشرة بين إسرائيل وإيران بعد عام 2023.

رابعاً: حروب (2025-2026) والتصاعد في سياسة النزعة الفارسية الجديدة

يعكس استخدام طهران لجماعات وكيالة مسلحة في سبيل الاقتراب من الحدود الإسرائيلية جزءاً من استراتيجيتها الأوسع الرامية إلى الوصول إلى البحر المتوسط ضمن إطار استعراض قوتها الإقليمية والجيوسياسية الفارسية الجديدة. فمن خلال اكتساب عمق استراتيجي على امتداد محور العراق-سوريا-لبنان (الهلال الشيعي) عبر سياسات الهوية الطائفية، عززت إيران حضورها في شرق المتوسط على مدى ما يقرب من ثلاثة عقود، مستخدمة القضية الفلسطينية كأداة في سياستها الخارجية. وبينما حافظت إيران على مستوى منخفض من الصراع عبر الوكلاء حتى 7 أكتوبر 2023، فقد انتقلت بعد ذلك إلى مواجهة مباشرة وتقليدية مع إسرائيل.

وخلال عام 2024، شهدت المنطقة تصاعداً في الاشتباكات المباشرة بين إيران وإسرائيل، تخللتها ضربات متبادلة استهدف فيها كل طرف قدرات الآخر على الردع الاستراتيجي. فبعد هجوم إيران في 13 أبريل 2024 على قاعدة نفاطيم الجوية، ردت إسرائيل باستهداف منظومات الدفاع الجوي التي تحمي المنشآت النووية في أصفهان ونطنز، كاشفةً بذلك عن ثغرات دفاعية إيرانية⁽⁶⁶⁾. وبعد تجدد الهجمات الصاروخية الإيرانية في أكتوبر 2024، وسّعت إسرائيل نطاق عملياتها، ولم تقتصر استهدافاتها على رادارات الدفاع الجوي، بل شملت منشآت حيوية مرتبطة بقدرات إيران على تصنيع الصواريخ⁽⁶⁷⁾.

وفي 12 أبريل 2025، قدّم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إنذاراً دبلوماسياً للمرشد الإيراني علي خامنئي، مانحاً إياه مهلة 60 يوماً لاستئناف المفاوضات النووية. وبعد انتهاء المهلة دون التوصل إلى اتفاق، شنت إسرائيل في 13 يونيو 2025 عملية عسكرية شاملة ضد إيران. وقد وجدت طهران نفسها مكشوفة بعد فقدان عمقها الاستراتيجي نتيجة سقوط نظام الأسد في سوريا وتراجع القدرات العملياتية لحزب الله وانهيار مقاومة حماس في غزة. ومع دخول الولايات المتحدة على خط المواجهة في اليوم الحادي عشر عبر ضربات جوية استهدفت منشآت نووية، تسارع مسار الحرب، لتنتهي باتفاق لوقف إطلاق النار في اليوم الثاني عشر⁽⁶⁸⁾.

وفي مقال نشرته في 16 يوليو 2025 في مجلة "إسمينا" (مجلة دراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا) بعنوان "الحرب التي أعادتها إيران إلى الداخل"، كتبت "إذا كان هدف الولايات المتحدة وإسرائيل هو منع إيران من امتلاك سلاح نووي، فعليهما الاستعداد لشن ضربات إضافية؛ لأن النظام الإيراني لن يتخلى عن طموحاته النووية. وباختصار، أمام الولايات المتحدة وإسرائيل خياران فقط: إما القبول بوجود إيران نووية، أو، كما حدث في العراق، الاضطرار إلى حوض حرب خليج ثانية لإسقاط نظام لم ينجح في إسقاطه خلال الأولى، لا يوجد خيار ثالث"⁽⁶⁹⁾.

ولم تمض ثمانية أشهر على نشر المقال حتى شهدت المنطقة في 28 فبراير 2026 عمليات عسكرية متزامنة نفذتها الولايات المتحدة وإسرائيل ضد إيران، مما رفع مستوى التوتر الإقليمي إلى مرحلة جديدة. ورداً على هذه الضربات، نفذت طهران هجمات انتقامية واسعة استهدفت تسعة مواقع مختلفة، شملت إسرائيل والأردن، إضافة إلى دول الخليج، وهي المملكة العربية السعودية والإمارات والبحرين والكويت وقطر وعمان، وكذلك إقليم كردستان العراق.

وفي 28 ديسمبر 2025، اندلعت احتجاجات في بازار طهران الكبير (بازار بوزورغ)، وسرعان ما امتدت إلى مراكز استراتيجية مثل مشهد وأصفهان وشيراز وكرج وهمدان، لتتحول إلى أكبر حركة اجتماعية تشهدها البلاد في السنوات الأخيرة. وأدى قمع الدولة لهذه الاحتجاجات باستخدام القوة العسكرية إلى موجة إدانة دولية. وفي هذا السياق، أعلنت الولايات المتحدة في 2 يناير 2026 أن خيار التدخل العسكري ما يزال "مطروحاً" في حال استمر العنف ضد المتظاهرين السلميين. وبحلول 12 يناير 2026، تصاعد الضغط الاقتصادي بعد أن فرضت واشنطن رسوماً جمركية إضافية على الدول التي تواصل تجارتها مع إيران. ووفقاً لتقارير صحيفة الجارديان بتاريخ 27 يناير 2026، فقد أعلنت الحكومة الإيرانية رسمياً سقوط 3,000 قتيل جراء حملة القمع الداخلية، بينما قدرت منظمات حقوقية مستقلة أن العدد الحقيقي تجاوز 33,000 قتيل⁽⁷⁰⁾.

وأدت الاضطرابات الداخلية في إيران، وما رافقها من قمع عنيف من جانب الدولة، إلى تهيئة الظروف لبدء التدخل العسكري الخارجي في وقت أبكر مما كان متوقعاً. وقد استندت الحسابات الاستراتيجية للولايات المتحدة وإسرائيل إلى أن تنفيذ عملية عسكرية متزامنة مع الانتفاضات الداخلية قد يفتح الباب أمام تغيير النظام، وهو ما جسده استهداف المرشد الأعلى علي خامنئي في اليوم الأول من الحملة.

وفي اليوم التاسع والثلاثين من الحرب، نجحت باكستان في التوسط لوقف إطلاق نار مؤقت مدته 15 يوماً، جمع أطراف الصراع إلى طاولة المفاوضات للمرة الأولى منذ 47 عاماً. غير أن 21 ساعة من المحادثات المكثفة في إسلام آباد انتهت بالفشل، نتيجة التباين الجذري بين شروط السلام التي طرحها كل طرف. وبعد انهيار المفاوضات، أعلنت إيران في 12 أبريل 2026 الإغلاق الكامل لمضيق هرمز أمام جميع حركة الملاحة، بينما بدأت الولايات المتحدة في 13 أبريل 2026 حصاراً بحرياً شاملاً على الموانئ الإيرانية.

وقد تضمن الطرح الأمريكي المكون من 15 بنداً وفقاً كاملاً للأنشطة النووية الإيرانية وإغلاق المنشآت، وتقييد برنامج الصواريخ الباليستية، ونقل مخزون اليورانيوم المخصب بنسبة 60% إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وإعادة فتح مضيق هرمز أمام الملاحة الدولية. وفي المقابل، قدمت إيران مقترحاً مضاداً من 10 نقاط يشمل مطالبة بتعويضات

عن أضرار الحرب، وتقديم ضمانات دولية بعدم شن أي هجمات مستقبلية، وحماية حقها في الطاقة النووية، ووضع بروتوكول ملاحي جديد يتضمن فرض رسوم على السفن العابرة للمضيق. وتعدّ هذه الشروط من كلا الجانبين قصوى إلى حد يجعل التوصل إلى تسوية أمراً بالغ الصعوبة في السياق السياسي الراهن، فإيران غير مستعدة للتخلي عن ركيزتين تعتبرهما أساسيتين: برنامجها النووي وورقة مضيق هرمز، وهما في الواقع أهم أدوات سياستها الفارسية الجديدة.

ومن منظور تاريخي، يتضح أن البرنامج النووي الإيراني واستراتيجيتها الرامية للتوسع الإقليمي يستندان إلى الأسس الفارسية الجديدة التي أرساها محمد رضا شاه بهلوي. ورغم أن المبادرات النووية والشراكات الاستراتيجية التي أبرمها الشاه مع الغرب ضمن رؤيته لـ "الحضارة الكبرى" خضعت لتحولات أيديولوجية بعد الثورة، إلا أن الهدف الجيوسياسي بقي ثابتاً: القيادة الإقليمية والحصانة الاستراتيجية.

وتعدّ حرب 2026 المرحلة الأكثر حدة في الصدام بين استراتيجية إيران بعيدة الأمد والنظام الدولي، فبفضل قدراتها النووية وعمقها غير المتماثل الذي بنته عبر الوكلاء، تُثبت إيران أنها لن تتخلى عن طموحاتها الإقليمية رغم الضغوط العسكرية والاقتصادية. وبالتالي، فإن برنامجها النووي لا يمثل مجرد قضية تقنية تتعلق بالطاقة، بل عقيدة بقاء وطني متجذرة في إرث فارسي قديم وممزوجة بمتطلبات الجغرافيا السياسية المعاصرة.

أما محاولة إيران إغلاق مضيق هرمز، فهي تتعارض مباشرة مع نظام المرور العابر المنصوص عليه في اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982، إذ لا يجوز للدولة الساحلية إغلاق الممرات البحرية المفتوحة للملاحة الدولية أمام حركة التجارة العالمية بقرار أحادي.⁽⁷¹⁾

وعلى الصعيد الداخلي، وبغض النظر عن أي اتفاق قد يُبرم بين الولايات المتحدة وإيران، فإن بقاء النظام الإيراني يعني أن الأكراد والبلوش والأذريين والعرب وغيرهم من الأقليات سيظلون محرومين من حقوقهم الأساسية وحريتهم. وعلى المستوى الإقليمي، سيظل النظام يشكل تهديداً أمنياً لجوار إيران، ولا سيما دول الخليج وإقليم كردستان العراق.

ورغم الاستفزازات الطائفية الإيرانية الممتدة لسنوات، فقد بادروا بالعهد السعودي الأمير محمد بن سلمان إلى مديد المصالحة، ووقع معها اتفاقاً بيكين في 10 مارس 2023 لاستعادة العلاقات الدبلوماسية. ومع ذلك، استهدفت إيران في 2 مارس 2026 منشأة رأس تنورة، أكبر مركز لتكرير النفط في المملكة العربية السعودية، بطائرات مسيرة؛ مما أدى إلى توقف كامل للعمليات في المنشأة، قبل أن يتم إعادتها للعمل لاحقاً.

وفي خطابه أمام البرلمان الأوروبي في 16 أبريل 2026، قال مصطفى هجري، الأمين العام للحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني "لا يمكن إصلاح النظام الإيراني، فالحكومة الإيرانية تشكل تهديداً ليس فقط للإيرانيين، بل للعالم بأسره. يجب على المجتمع الدولي ألا يسمح بقيام دولة مركزية شوفينية جديدة في إيران تحت أي مسمى، الطريق إلى الأمام هو إيران ديمقراطية وفدرالية وعلمانية".

ولا شك أن شخصيات معارضة مثل هجري، الذي أمضى عقوداً في النضال السياسي، تعرف بنية السلطة الإيرانية معرفة عميقة. فقد تأسس الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني عام 1945، وسيطر على جزء كبير من كردستان إيران بين 1979 و1983. وفي المرحلة الراهنة، يتضح جداً أنه طالما بقي النظام السياسي الإيراني قائماً، فلن يتخلى عن برنامجه النووي، وسيواصل زعزعة أسواق الطاقة العالمية عبر استخدام مضيق هرمز كورقة ضغط، وسيستمر في تنفيذ سياساته الفارسية الجديدة.

خامساً: الفارسية الجديدة وسؤال الاستمرارية

رسّخ رضا شاه (1925-1941)، مؤسس أسرة بهلوي، نفوذه السياسي عبر انقلاب عام 1921، ثم أعلن "شاه" من قبل البرلمان بعد إلغاء السلالة القاجارية عام 1925. ومع توليه الحكم، جرى تطهير البنية الأيديولوجية للدولة من المرجعيات الإسلامية، وإعادة تشكيلها على أساس إحياء الإرث الفارسي.

أما محمد رضا شاه بهلوي (1941-1979)، الذي اعتلى العرش عقب نفي والده عام 1941، فقد أطلق برامج تحديث شاملة عُرفت بـ "الثورة البيضاء" بالتوازي مع تبني عقيدة قومية قوية تستحضر مجد إيران في القرن الخامس قبل الميلاد. وانسجماً مع رؤيته لإحياء العظمة الفارسية القديمة، قام الشاه بتحديث هذا الإرث التاريخي عبر احتفالات "الذكرى 2500 لقيام الملكية" في برسيبوليس عام 1971، في محاولة لدمج المجتمع الإيراني تدريجياً ضمن سياسة فارسية جديدة توسعية.

وبعد الإطاحة بنظام بهلوي عام 1979، تبنى الخميني عقيدة "تصدير الثورة الإسلامية" منذ السنوات الأولى لحكمه. وخلال تلك المرحلة، جعلت طهران من القضاء على إسرائيل، التي وصفها بـ "الشیطان الأصغر"، وإزالة النفوذ الأمريكي "الشیطان الأكبر"، من الشرق الأوسط، محوراً رئيساً لسياستها الخارجية. وبعد انتهاء الحرب الإيرانية-العراقية التي استمرت ثماني سنوات، اتجهت إيران نحو استراتيجية توسعية تُعرف في الأدبيات بـ "السياسة الفارسية الجديدة/المجددة أو نيوفارسي"، بهدف تعزيز فعاليتها الإقليمية، وبموجب هذه الاستراتيجية، أنشأت طهران مجال نفوذ غير متماثل عبر جماعات شبه عسكرية ووكلاء موالين لها في لبنان وسوريا وفلسطين والعراق واليمن، لتصبح الحروب بالوكالة ركناً أساسياً لسياستها الخارجية.

وقد أدى بناء إيران لتشكيلات ميليشياوية موازية للجيش الوطنية في دول مثل لبنان واليمن والعراق إلى تقويض سيادة هذه الدول من الداخل، ودفعها تدريجياً نحو حالة "الدولة الفاشلة". ومن خلال استراتيجية متمعمة، نجحت طهران في تجسيد سياساتها الفارسية الجديدة عبر فرض وصاية سياسية وعسكرية على هذه الجغرافيات الهشة. ويُطبَّق النهج ذاته في الحالة الفلسطينية عبر حركة حماس، وفي العراق، حالت إيران وعلى مدى نحو 30 عاماً، دون توحيد قوات البيشمركة التابعة للحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني ضمن جيش وطني موحد، رغم الجهود الدبلوماسية الأمريكية. ويُظهر هذا الواقع أن العقيدة الفارسية الجديدة تقوم في جوهرها على استراتيجية "فرق تسد"، التي تهدف إلى حكم المناطق المستهدفة عبر إبقائها في حالة انقسام دائم.

وقد تعرّضت السياسة الفارسية الجديدة، التي طبقتها إيران بشكل منهجي لسنوات طويلة، إلى انتكاسة استراتيجية كبيرة عقب موجة الصراع الأخيرة مع الولايات المتحدة وإسرائيل. فعلى مدى العقدين الماضيين، حققت طهران مكاسب جيوسياسية مهمة عبر الوصول إلى حوض المتوسط من خلال مشروع "الهلال الشيعي"، وهو أهم مكونات هذه السياسة. وقد شكّل سقوط نظام صدام حسين عام 2003 إزالةً لأكبر عقبة جيوسياسية أمام التوسع الإيراني، ثم أتاح الربيع العربي عام 2010 والحرب السورية لطهران فرصة لبسط نفوذ مباشر على المتوسط عبر الممر اللوجستي-السياسي الممتد من العراق إلى سوريا ولبنان، غير أن الظروف الإقليمية الراهنة تضع استدامة هذه المكاسب أمام اختبار قاسٍ.

فالفترة التي أعقبت هجمات 7 أكتوبر 2023 أدت إلى تحول جذري في ميزان القوى في الشرق الأوسط على حساب إيران، إذ أدى اغتيال حسن نصرالله في لبنان، إلى جانب الضربة القاسية التي تلقاها حزب الله وتراجع قدراته العملية، إضافةً إلى سقوط نظام الأسد في سوريا، إلى زعزعة العمق الاستراتيجي الإيراني. وقد دفعت هذه التطورات طهران إلى انسحاب غير متماثل من خط نفوذها الممتد من لبنان حتى الحدود العراقية.

ولا يزال المآل النهائي للتدخل العسكري الذي شنته الولايات المتحدة وإسرائيل ضد إيران في فبراير 2026 غير محسوم، فالمشهد مفتوح على مجموعة واسعة من السيناريوهات المحتملة، تشمل التوصل إلى اتفاق سلام دبلوماسي أو هدنة بعيدة الأمد تُبقي على الوضع القائم أو عودة التصعيد العسكري. وفي حال تجدد المواجهة، قد تبرز إمكانية تنفيذ عمليات برية محدودة إلى جانب الضربات الجوية. فرغم أن المساحة الجغرافية الشاسعة لإيران تجعل الغزو الكامل مهمةً عسيرةً من الناحية العسكرية، إلا أنه بالإمكان تنفيذ عمليات برية موضعية في مناطق ذات حساسية عرقية مثل كردستان

وبلوشستان وخوزستان، إضافةً إلى المناطق المحيطة بمضيق هرمز، مع احتمال إشراك عناصر محلية (كردية، بلوشية، عربية، أذرية).

وفي حال لم تستمر الحرب الأخيرة وانتهت بسلام هش؛ ستُعلن إيران النصر. فبغض النظر عن حجم الدمار داخل البلاد، طالما لم يسقط النظام، فسيُعتبر نفسه منتصراً، وسيزداد تشدداً تجاه الداخل والخارج على حدٍ سواء. كما أن خسارة جزء كبير من المكاسب التي حققتها إيران خلال الأربعين إلى الخمسة والأربعين عاماً الماضية لن تدفع المؤسسة الحاكمة إلى التخلي عن السياسات الفارسية الجديدة التي سعت إلى ترسيخها بإصرار، وبعد سنوات من تركيز ثقلها الاستراتيجي على الساحتين السورية واللبنانية، ستوجه إيران مستقبلاً إلى تعزيز حضورها في منطقة الخليج.

ويُعدّ نهج الحروب بالوكالة، الذي ترسّخ مؤسسياً بعد الثورة، أحد العناصر الأساسية التي تختبر مدى تمسك إيران بسياساتها الفارسية الجديدة. ويبقى السؤال المطروح: هل ستتخلى طهران عن هذا الأسلوب بعد التوترات العسكرية مع الولايات المتحدة وإسرائيل؟ إلا أن مطالبة إيران بوقف العمليات الإسرائيلية في لبنان ضمن خطة النقاط العشر التي قدمتها لواشنطن، تُظهر بوضوح رغبتها في الحفاظ على رعايتها للمليشيات واستمرار أنشطتها غير المتماثلة في المنطقة.

وقد بنت إيران عقيدتها للأمن القومي على استراتيجية "الدفاع الطبقي" التي طوّرت بالتنسيق مع حلفائها العابرين للحدود. ويهدف هذا النهج إلى اعتراض الخصم ومنعه من الوصول إلى الداخل الإيراني عبر مواجهته في الطبقات الخارجية، أي في المناطق التي تنتشر فيها قوات الوكلاء، قبل أن يصل إلى الداخل الإيراني. ووفقاً لقادة الحرس الثوري؛ فإن السبب الأساسي لعدم تعرّض إيران لهجوم مباشر طوال سنوات يعود إلى هذا النظام الدفاعي غير المتماثل، الذي منحها أيضاً الوقت والردع اللازمين لتطوير برنامجها النووي. غير أن هذه العقيدة بطبيعتها تفرض استمرار الحروب بالوكالة. وفي هذا السياق، من المتوقع أن تواصل طهران دعم حزب الله في لبنان والحوثيين في اليمن، مع البقاء على استعداد ملء أي فراغ سلطوي قد ينشأ في مناطق استراتيجية مثل سوريا.

طالما استمرت إيران في بناء استراتيجيتها الدفاعية على بنية متعددة الطبقات بالتعاون مع حلفائها الإقليميين، فإنها ستكون مضطراً إلى الإبقاء على عقيدة الحرب بالوكالة؛ وهذا يعني أن طهران لن تقطع علاقاتها مع كيانات مثل حزب الله، وستستغل أي فراغ سلطوي محتمل في سوريا، وستستمر في دعم الحوثيين في اليمن. كما أن سعيها للحفاظ على دعمها للقضية الفلسطينية، ورعايتها للمجتمعات الشيعية في العالم العربي، يمثلان جزءاً من جهودها لترسيخ نفوذها. وطالما بقيت البنية الحاكمة على حالها، فإن الهيمنة على العراق والحسابات الجيوسياسية في المنطقة ستظل حجر الأساس في سياستها الفارسية الجديدة.

خاتمة

إنَّ التحولات التي شهدتها إيران من القومية الفارسية "البهلوية" إلى "تصدير الثورة" الخمينية، تكشف عن جوهرٍ توسعي ثابت يتجاوز الأيديولوجيا السياسية، ورغم الانتكاسات الكبرى التي عصفت بـ "الهلل الشيعي" بعد السابع من أكتوبر، بما في ذلك سقوط العمق السوري وتعرُّض حزب الله لهجمات مؤلمة؛ تظل عقيدة الدفاع الأمامي خياراً وجودياً لا تراجع عنه بالنسبة للنظام. فالنفوذ الإيراني ما يزال يراهن على استثمار الفراغ السياسي وإبقاء الدول الهشة في حالة انقسام دائم لضمان استمرار النفوذ، وربما لن تؤدي الضغوط العسكرية الأمريكية أو الإسرائيلية إلى تخلي طهران عن تطلعاتها الإقليمية، بل قد تلجأ إلى التراجع التكتيكي مؤقتاً وانتظار لحظة مناسبة لاستعادة النفوذ والتأثير.

وقد أثبتت خبرة العقود الماضية منذ الثورة أن النظام يراهن على البقاء بوصفه أولوية قصوى، وما دام النظام لم يسقط فإنه سيرى في الحرب رغم خسائرها نصراً استراتيجياً. وبمجرد تأمين هذا البقاء قد يُعيد تشغيل أدواته لترميم نفوذه المتصدع وتحقيق مشروعه المتجدد؛ وبالتالي فإن أمن المنطقة قد يظل محكوماً بهذا الصدام بين طموحات "فارسية متجددة"، هي مزيج من القومية الجديدة والدينية المتأصلة، وبين واقع إقليمي ودولي لم يُعد يتقبل هذه النزعة الجيوبوليتيكية.

المراجع والمصادر

- (1) Saeid Golkar and Kasra Aarabi, *Iran's Revolutionary Guard and the Rising Cult of Mahdism: Missiles and Militias for the Apocalypse* (Washington, DC: Middle East Institute, May 3, 2022).
- (2) Mehran Kamrava, *The Modern Middle East: A Political History Since the First World War* (Berkeley: University of California Press, 2005), P177.
- (3) Pierre Briant, *From Cyrus to Alexander: A History of the Persian Empire*, trans. Peter T. Daniels (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2002), 13–35 & Matt Waters, *Ancient Persia: A Concise History of the Achaemenid Empire* (Cambridge: Cambridge University Press, 2014), Pp 34–45.
- (4) Xenophon, *Cyropaedia*, trans. W. Miller (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1947), p7.
- (5) Pierre Briant, *From Cyrus to Alexander: A History of the Persian Empire*, p169.
- (6) Maria Brosius, "Pax Persica and the Peoples of the Black Sea Region: Extent and Limits of Achaemenid Imperial Ideology," in *Achaemenid Impact in the Black Sea Region*, ed. E. Rehm and J. Nieling (Aarhus: Aarhus University Press, 2010), Pp 20–42.
- (7) G. W. Bowersock, *Empires in Collision in Late Antiquity* (Waltham, MA: Brandeis University Press, 2012), p3.
- (8) Massoume Price, *Iran's Diverse Peoples: A Reference Sourcebook* (Santa Barbara, CA: ABC-CLIO, 2005), p65.
- (9) Sabri Ates-Vural Genç, "Ottoman-Safavid Relations: A Religious or Political Rivalry," in *Oxford Research Encyclopedia of Asian History*, ed. David Ludden (New York: Oxford Academic, November 20, 2024), <https://doi.org/10.1093/acrefore/9780190277727.013.769>.
- (10) Ibid., p66
- (11) Ibid
- (12) Miron Rezun, *Iran at the Crossroads: Global Relations in a Turbulent Decade* (Boulder, CO: Westview Press, 1989), p10.
- (13) Arshin Adib-Moghaddam, *Iran in World Politics: The Question of the Islamic Republic* (New York: Columbia University Press, 2008), p47.
- (14) Miron Rezun, *Iran at the Crossroads*, p11.
- (15) Anoush Ehteshami and Mahjoob Zweiri, *Iran and the Rise of Its Neoconservatives: The Politics of Tehran's Silent Revolution* (London: I.B. Tauris, 2007), P103.
- (16) Ibid.
- (17) E. M. Kennedy, "Arms Race or Arms Control," *Foreign Affairs* 54, no. 1 (1975): Pp14–35.
- (18) Arthur Goldschmidt Jr. and Lawrence Davidson, *A Concise History of the Middle East*, 9th ed. (Boulder, CO: Westview Press, 2010), P378.
- (19) Amin Saikal, *Iran Rising: The Survival and Future of the Islamic Republic* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2019), P20.
- (20) M. M. Nia, "Discourse and Identity in Iran's Foreign Policy," *Iranian Review of Foreign Affairs* 3, no. 3 (2012): Pp29–64.
- (21) Kamrava, *The Modern Middle East*, 154 &, "Iran: A Country on the Brink," *Encyclopaedia Britannica*, 2006, P118, <https://www.britannica.com/topic/Iran-A-Country-on-the-Brink>
- (22) Yalçın Sarıkaya, *Geçmişten Günümüze İran: Tarih, Siyaset, Toplum ve Kültür* [Iran from Past to Present: History, Politics, Society and Culture] (Turkish Academy of Political, Social and Strategic Research Foundation, Center for Foreign Policy Research, n.d.), P3
- (23) Kamrava, *The Modern Middle East*, P177.
- (24) Institute for Global Change, *Fundamentals: Iran's Islamic Revolution* (London: Tony Blair Institute for Global Change, 2019).
- (25) Raymond A. Cohen, *Upeavals in the Middle East* (Lanham, MD: Lexington Books, 2014), P39.
- (26) Barry Rubin, *The Tragedy of the Middle East* (Cambridge: Cambridge University Press, 2002), P131.
- (27) Vali Nasr, *Iran's Grand Strategy* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2025), P12.
- (28) M. M. Nia, "Discourse and Identity in Iran's Foreign Policy," *Iranian Review of Foreign Affairs* 3, no. 3 (2012): Pp29–64.
- (29) Robin Wright and Peter Baker, "Iraq, Jordan See Threat to Election From Iran," *The Washington Post*, December 8, 2004, accessed April 21, 2026, <https://bit.ly/4tY7xkf>.
- (30) Mark Oliver, "High Turnout in Iraqi Elections," *The Guardian*, December 15, 2005, accessed April 21, 2026, <https://www.theguardian.com/world/2005/dec/15/iraq.iraq>.

- (31) Rostam Amiri, "The Shia Crescent Revisited," *CounterPunch*, February 19, 2010, accessed April 21, 2026, <https://www.countercurrents.org/amiri190210.htm>.
- (32) Ibid.
- (33) Jeffrey Mankoff, "The War in Ukraine and Eurasia's New Imperial Moment," *The Washington Quarterly* 45, no. 2 (2022).
- (34) Daniel Levin, "Iran, Hamas & Palestinian Islamic Jihad," *Wilson Center*, October 11, 2023, accessed April 21, 2026, <https://tinyurl.com/29zn14l4>
- (35) A. A. Rezeg, "Understanding Iran-Hamas Relations From a Defensive Neo-Realist Approach," *Iran Çalışmaları Dergisi* 4, no. 2 (2020): Pp385-409.
- (36) W. Booth, "Iran's Post-sanctions Windfall May Not Benefit Hamas," *The Washington Post*, August 31, 2015, accessed April 21, 2026, <https://bit.ly/4sOqpkR>.
- (37) Karim Sadjadpour, "The Battle for the Middle East," *Foreign Affairs*, October 22, 2024, accessed April 21, 2026, <https://tinyurl.com/248pulk7>
- (38) U.S. Congressional Research Service, *Iran's Foreign and Defense Policies*, R44017 (Washington, DC: CRS, 2019).
- (39) Mohammad Mohaddessin, *Islamic Fundamentalism: The New Global Threat* (Washington, D.C.: Seven Locks Press, 1993).
- (40) Ibid., P40.
- (41) Robert Fisk, *The Great War of Civilization: The Conquest of the Middle East* (New York: Vintage Books, 2005), P161.
- (42) Mark L. Haas, *The Clash of Ideologies: Middle Eastern Politics and American Security* (Oxford: Oxford University Press, 2012), P131.
- (43) Jubin M. Goodarzi, *The Formative Years of the Syrian-Iranian Alliance: Power Politics in the Middle East, 1979-1989* (unpublished master's thesis, London School of Economics, 2002), P15.
- (44) Mark L. Haas, *The Clash of Ideologies*, P135.
- (45) Fisk, *The Great War of Civilization*, 161 & Suzanne Maloney, "The Middle East's Dangerous New Normal," *Foreign Affairs*, January/February 2025, <https://tinyurl.com/2cv8lme7>
- (46) Lawrence Pintak, *Seeds of Hate: How America's Flawed Middle East Policy Ignited the Jihad* (London: Pluto Press, 2003), P27.
- (47) Robert Baer, *The Devil We Know: Dealing with the New Iranian Superpower* (New York: Crown Publishers, 2008), P36.
- (48) Goodarzi, *The Formative Years of the Syrian-Iranian Alliance*, 6 & Mark L. Haas, *The Clash of Ideologies*, P142.
- (49) Samuel P. Huntington, "The Lonely Superpower," *Foreign Affairs* 78, no. 2 (1999): 35-49.
- (50) Milani, *Iran's Rise and Rivalry*, P9.
- (51) Jimmy Carter, State of the Union Address, January 23, 1980 (Carter Doctrine), in *Foreign Relations of the United States, 1977-1980*, vol. I (Washington, DC: Office of the Historian, Department of State).
- (52) Mohammed Ayoob, "American Policy Toward the Persian Gulf," in *International Politics of the Persian Gulf*, ed. Mehran Kamrava (Syracuse, NY: Syracuse University Press, 2011).
- (53) 126. Masoud Panah, *The Islamic Republic and the World* (London: Pluto Press, 2007), P89.
- (54) Milani, *Iran's Rise and Rivalry*, P58,
- (55) Mohammad Nia. "Discourse and Identity in Iran's Foreign Policy," *Iranian Review of Foreign Affairs* 3, no. 3 (2012): Pp29-64.
- (56) Levin, "Iran, Hamas & Palestinian Islamic Jihad."
- (57) Kenneth Pollack and Ray Takeyh, "Taking On Tehran," *Foreign Policy*, March/April 2005.
- (58) Panah, *The Islamic Republic and the World*, P89.
- (59) Robert Parham and Robert Kraemer, "Iran Before and After 1979: How Did We Get Here From There?" *Foreign Policy Research Institute*, April 2015, <https://tinyurl.com/2dgvryfc>
- (60) Shahram Chubin and Charles Tripp, *Iran and Iraq at War* (Boulder, Colo: Westview Press, 1988), P208.
- (61) Ibid., P208.
- (62) Panah, *The Islamic Republic and the World*, Ibid., p89.
- (63) Ibid.,90.
- (64) Lawrence Freedman, *A Choice of Enemies: America Confronts the Middle East* (London: BBS Publications, 2008), p172.
- (65) Vali Nasr, *Iran's Grand Strategy*, p167.

- (66) S. Forey, "Israel-Iran Conflict: How Israel Gained Air Superiority Over Tehran," *Le Monde*, June 18, 2025, accessed April 21, 2026, <https://bit.ly/4sQdkat>.
- (67) 100 Jets, 20 Targets: How Israel Hit Iran's Military, Drone Facilities," *India Today*, October 28, 2024, accessed April 21, 2026, <https://bit.ly/4tqA1mY>.
- (68) Amos Yadlin, "The Post-Iranian Middle East," *Foreign Affairs*, July 18, 2024, accessed April 21, 2026, <https://bit.ly/4mGlzVf>.
- (69) A. Kiran, "The War Iran Brought Home," *EISMENA*, July 16, 2025, accessed April 21, 2026, <https://tinyurl.com/2y4obd8m>
- (70) "Disappeared Bodies, Mass Burials and '30,000 Dead': What Is the Truth of Iran's Death Toll?" *The Guardian*, January 27, 2026, accessed April 21, 2026, <https://bit.ly/4cAUJcn>.
- (71) Malcolm N. Shaw, *International Law*, 4th ed. (Cambridge University Press, 1997), p408.